

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام

لفضيلة الدكتور : الأمين محمد محمود الجكني

التمهيد:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:
فإن لفظ الدين والإسلام يشمل جميع الأمور من الأركان والعبادات
في مختلف شؤون الحياة، ففي القرآن الكريم الدعوة إلى الإسلام،
والإخلاص لله والعبادات المفروضة الصلاة والزكاة والصيام والحج،
والمعاملات والجنایات والحدود، وأسباب القوة وطرق الدعوة وأحكام
الجهاد، والتيسير، والحث على الأخلاق الحسنة، والآداب الحميدة،
والتحذير من الأخلاق السيئة، وكذلك في السنة كما في الصحيحين
والسنن، مع كتب الأدب والرقاق والطب. فجميع هذه الكتب هي في
الواقع تفسير لمعنى (الإسلام والدين) وهذا يعني أن كل ما في هذه الكتب
هو من العبادات.

وقد حاولت من خلال هذا البحث استخلاص أهم التوجيهات النبوية
المستفادة من السنة النبوية التي هي جزء من الدعوة التي جاء وأمر بها نبينا
ﷺ، ويجب على كل مسلم أن يدرك أنه معني بها، ولو بامثاله وتخلقه بهذه
الأخلاق النبوية، كما يتناول البحث الأسس والأحكام التي سلكها وحث
عليها النبي ﷺ لما فيه المصلحة من قوة الإسلام والمسلمين، ونشر

الإسلام بصورة يتعمق فيها الإسلام من نفوس وقلوب الناس، مستنداً في ذلك على أهم المصادر التي تناولت مواضيع الجهاد والجزية والموادعة، وحاولت قدر المستطاع أن أقتصر على الأبواب والأحاديث الجامعة التي قد يندرج فيها ما يتصل بها من أحكام ومعانٍ.

أسأل الله تعالى التوفيق والعفو عن كل خطأ وتقصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقد جعلت هذا البحث من تمهيد وثلاثة مباحث.

وكل منها يتضمن مطالب، وذلك على النحو التالي:

❖ المبحث الأول

حقيقة الجهاد وآدابه ومبادئه.

❖ المبحث الثاني

القواعد قبل القتال

❖ المبحث الثالث

الأحكام والآداب أثناء وبعد القتال

المبحث الأول: حقيقة الجهاد وآدابه:

المطلب الأول: حقيقته وآدابه.

لقد اهتم العلماء - رحمهم الله تعالى - بهذا الجانب فألفوا المصنفات التي لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأشارت إليها إما صراحةً وإما تلميحاً.

وهذا ما نجده في صحيح البخاري ومسلم في كتاب الجهاد والسير، وكذا في كتب السنن^(١)، بعضهم يسميه كتاب الجهاد، كما عند البخاري، والبعض الآخر بكتاب الجهاد والسير، كما عند مسلم، وبعضهم أفرد للجهاد كتاباً، وللسير كتاباً آخر كما صنع النسائي، وجمعوا كل ما يتصل بهذا الباب^(٢).

وموضوع الجهاد يتصل بالدعوة، والحقوق والأمانة، والفقه، ويتصل بالمعاملات قبل القتال وأثناءه، وبعده، وأحكام الأسرى والفبيء والأنفال، والغنائم، وتقسيم الخمس، وأحكام المعاهدات من أمان وهدنة وصلاح وعقد ذمة، وأحكام البغاة، والخوارج، والمرتدين، والمحاربين. إن الإسلام حيث شرع هذه الأحكام والآداب قد حقق وقصد بذلك مصالح كثيرة لجميع خلق الله تعالى.

• منها: ضبط الأمور، وجعلها كما أراد الله تعالى ونبينا محمد ﷺ، وذلك لا يأتي إلا بالخير كله.

(١) البخاري، ٣/٦ (٥٦)، مسلم، الصحيح بشرح القاضي، إكمال المعلم، ٢٨/٦.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، ٤/٢٦٤-٣١٠، كتاب الجهاد، وكذلك كتاب السير، ٥/٨، سنن

أبي داود، ٦/٣ (٩)، سنن سعيد بن منصور، ١١٧/٢.

• منع أصحاب الأهواء، والأحقاد من استغلال هذا الأمر في الإسراف وإهلاك الناس باسم الإسلام، أو لمجرد الاختلاف معهم، فالإسلام شرع الأحكام في قتال من لا يؤمنون بأركان الإسلام، ودلت السنة على الوعيد لمن قاتل مسلماً شهد الشهادتين، فكيف بمن هو أصلاً ولد ونشأ عليها؟ وكان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على دعوة الناس والصبر على إظهار إجاباتهم.

• المصالح الكثيرة ومنها تشجيع الناس على الدخول في الإسلام من خلال علمهم وإدراكهم بأن الإسلام لا يهمله بالدرجة الكبيرة المسارعة إلى قتال الناس، والتعرض لهم أو لأعراضهم أو ممتلكاتهم، وحتى إذا ما حدث هناك لقاء فإن المسلمين يخضعون لأوامر وأحكام وآداب صادرة من الشارع الحكيم، وقد يعاقب من يخالف هذه الأحكام.

وقد روى البخاري حديث أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجرٍ أو غنيمة»^(١).

قال الحافظ: فيه إشارة إلى اعتبار الإخلاص.

وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل ثواب في كل حركة وسكون؛ لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن

(١) البخاري، ٦/٦ (ح ٢٧٨٧)، مسلم، الصحيح مع إكمال المعلم، ٢٨٩/٦ (ح ١٧٧٨).

العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

وعند البخاري أيضاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»^(٢).

قال الحافظ: في رواية الحاكم «أي الناس أكمل إيماناً» وكأن المراد بالمؤمن مَنْ قام بما تعين عليه القيام به، ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة؛ لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام، فقد لا يفي هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن^(٣).

وهذا يدل بوضوح على أن الجهاد عبادة وطريق دعوة، ولا بد أن يكون المجاهد عارفاً بحقيقة الجهاد الذي هو في سبيل الله، ولأن من كمال الإيمان امتثال الواجبات الأخرى من الأحكام والآداب وخاصة المتصلة بالجهاد. من أهم التوجيهات النبوية في السيرة النبوية ما يستفاد من قول وفعل

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) البخاري، ٦/٦ (ح ٢٧٨٦).

(٣) الفتح، ٦/٦.

النبي ﷺ أثناء الدعوة ونشرها وخاصة بعد الهجرة وبدء الجهاد. لقد بين النبي ﷺ حقيقة المجاهد، وهدفه، وهو ما ثبت في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

وفي الحديث ذم الحرص على الدنيا، وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة^(٢).

ويفهم من جواب النبي ﷺ أن كل إنسان ينبغي عليه أن يحاسب نفسه ويكون على بينة من أمره في إرادته للجهاد.

كما يفهم أيضاً أن المجاهد الحقيقي الصادق هو الذي عرف حقيقة الإسلام والإيمان، وتعلم الأحكام، وخاصة فيما يتعلق بالجهاد، وتفقه في مشروعيته وشروطه وآدابه وضوابطه حسب ما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة، واقتدى بما ثبت عن النبي ﷺ في غزواته، ووصاياه لأصحابه في السرايا والبعوث.

فلم يكن النبي ﷺ وأصحابه يقصدون من الجهاد الحرص على الدنيا ومتاعها، ولا يطمعون إلى الحظوظ النفسية.

ولهذا لم يقاتلوا إلا بعد الإنذار، والدعوة والصبر لعل أن يسمعوا أذاناً، أو تحصل استجابة، ولم يفاجئ النبي ﷺ وأصحابه الأعداء إلا إذا تيقنوا أن العدو قد استعدَّ وعزم على الاعتداء كما في بني المصطلق.

(١) البخاري، ٢٨/٦ (ح ٢٨١٠)، مسلم مع إكمال المعلم، ٦/٣٢٧ (ح ١٩٠٤) [١٤٩].

(٢) الفتح، ٢٩/٦.

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

وهذا الاستعداد من العدو يشير إلى أن الدعوة والإنذار قد وصلته وبلغته وعلم بها.

بل إن النبي ﷺ وأصحابه تركوا الغنائم الكثيرة من الذرية وحتى الأموال كما في غنائم بني المصطلق بعد أن تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث.

وكما في غزوة حنين لما جاؤوا مسلمين ومستشفعين برضاع النبي ﷺ في ديارهم ومن نسائهم، فترك لهم نصيبه وحث أصحابه على أن يفعلوا مثله ففعلوا ﷺ.

وقد أخرج البخاري في باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، وذكر فيه حديث أبي هريرة في قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي، وقول النبي ﷺ: «اللهم اهد دوساً».

وقوله (ليتألفهم) من فقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم كما في باب الدعاء على المشركين بالهزيمة، ويكثر أذاهم فيدعو عليهم بأن تطيش عقولهم وترعد أقدامهم عند اللقاء فلا يثبتوا، ولا يستقر لهم قرار.

والحالة الثانية، حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم^(١).

المطلب الثاني: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأثرها:

لقد بين الله تعالى لرسوله ﷺ طريق الدعوة وأمره باتباعه من أول ظهور الإسلام، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(١) البخاري، ١٠٥/٦، ١٠٦، ١٠٧، (ح ٢٩٣٧)

وَجَدَلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾

قال القرطبي: هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة^(٢). والله أعلم.

وهذا هو الأساس في نشر الإسلام، وهو أول قواعد، وأحكام الجهاد، وأصدق دليلاً على ذلك حديث بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، حيث قال لهما: «يَسِّرَا وَلَا تَعْسِرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تَنْفَرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا»^(٣).

قال القاضي - رحمه الله تعالى -: فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرفق بالناس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيما فيمن كان قريب العهد به.

وقد ثبت في البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، يدفعه عظيم

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الجامع، ١٠/٢٠٠.

(٣) صحيح مسلم، ٦/٣٧ (ح ١٧٣٣).

البحرين إلى كسرى.

وأورد البخاري هذا الحديث في الترجمة المستفادة من الحديث حيث قال: باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه؟ وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال^(١). والمراد بالدعوة أي إلى الإسلام. ولا شك أن الدعوة قد وصلت إلى الملوك قبل إرسال النبي ﷺ كتبه إليهم، ومع ذلك لم يبدأهم بالقتال، وإنما سلك الطريق الأصلح والأسلم والأيسر، وهو الحكمة والموعظة الحسنة، كما يظهر من ألفاظ الحديث: عظيم البحرين.

وفي الحديث أيضاً: (وكتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر)^(٢).

قال الحافظ: وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق. وفيه إرشاد المسلم إلى الكافر.

وفي الحديث المطول عند البخاري بعد وصول الكتاب لقيصر، ثم استحضاره لأبي سفيان، وفيه: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

(١) البخاري، ١٠٨/٦ (ح ٢٩٣٩)، صحيح مسلم مع إكمال المعلم، ١١٧/٦ (ح ١٧٧٣).

(٢) البخاري، ١٠٩/٦ (ح ٢٩٤٠).

اللَّهُ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾.

هذا هو الأصل والحق في الدعوة وهو الذي فيه الخير،
والمصلحة؛ لأن الحكمة من الجهاد هو إدخال الناس في الخير، وتحقيقه
لهم، وليس الهدف هو استغلال الجهاد لأمر دنيوية وحظوظ شخصية.
ومما يوضح الحرص على جعل الأولوية في الدعوة بالحكمة والصبر
ما ثبت في البخاري يوم خيبر، حين أعطى النبي ﷺ الراية لعلي ﷺ، فقال
علي: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: « على رسلك حتى تنزل بساحتهم،
ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك
رجل واحد خير لك من حُمُر النعم »^(١).

هذا هو الوحي والشرع، والأسوة الحسنة، وفيه كل الخير، وما خالفه
ليس فيه إلا الشر.

وهذا مع يهود خيبر الذين لا يجهل أحد ما قاموا به من مؤامرات،
ودسائس، وتعاون مع قريش والمنافقين، وحتى بعد إخراجهم من المدينة
جعلوا من خيبر مركزاً لمحاربة النبي ﷺ وإضعاف المسلمين . ومع هذا
كله لم يستعجل النبي ﷺ في مهاجمتهم، بل ولم يطمع في ذريتهم
وأموالهم وسفك دمائهم، بل كان يرجو أن يسمع أذاناً أو استجابة، وهذه
من أحكام وآداب الجهاد التي أراد النبي ﷺ تعليمها لأمتة.

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) البخاري، ١١١/٦ (ح ٢٩٤٢) و ١٤٤ (ح ٣٠٠٩).

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

ويستفاد من الحديث أيضاً مراقبته ﷺ لعماله ونوابه وسؤالهم، والتأكد من معرفتهم وإدراكهم للقيام بما أرسلوا من أجله، وليس الأمر فقط هو تأميرهم وإرسالهم ليتصرفوا حسب اجتهادهم . وهذا يتفق مع ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً . وكان إذا جاء قوماً ليل لا يُغير عليهم حتى يُصبح...»^(١).

قال الحافظ . رحمه الله تعالى : في الحديث الأخذ بالأحوط في أمر الدعاء؛ لأنه كف عنهم في تلك الحالة مع احتمال ألا يكون ذلك على الحقيقة^(٢).

المطلب الثالث: متى وفي حق من يُشرع الجهاد؟

لقد استمر النبي ﷺ وأصحابه ملتزمين بالصبر، والعفو، والصفح ولم يحاولوا مقاتلة المعتدين والظالمين إلا بعد أن جاء الإذن من الله تعالى، وذلك في قوله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٣).

وقد أوضح النبي ﷺ الحكمة والسبب والهدف من الأمر بقتال الناس كما قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام،

(١) البخاري، ١١١/٦ (ح ٢٩٤٥).

(٢) الفتح، ١١٢/٦.

(٣) الحج: ٣٩.

وحسابهم على الله»^(١)، والحديث معروف مشهور عند المسلمين. ومثله حديث «بني الإسلام على خمس»^(٢).

وهذا من رحمة الله تعالى أن يسّر الدخول في الإسلام بهذا القول، ويحرم على الإنسان أن يعتدي على غيره بحجة أنه قالها نفاقاً أو خوفاً، كما أنه لا يحق للإنسان بما يراه أن يكفر المسلم من أجل أن يسوغ ويبيح قتاله؛ لأن قتاله بسبب أمر دنيوي أخف من قتاله بسبب ديني لاختلاف الحكم في الحالتين، ولعظم وشناعة تكفير من يؤمن بالأركان التي حددها الشرع وجعلها الحصن المنيع للإنسان.

المطلب الرابع: حرص الإسلام وإيثاره للسلم والعافية:

من الأدلة والبراهين على أن الإسلام يدعو إلى السلم والصلح ما ورد في الأحاديث من النهي عن تمني لقاء العدو، كما أخرجه البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية...»^(٣).

قال ابن بطال: حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق: لأنّ أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر.

وقال غيره: إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والالتكال على النفوس والثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو، وكل ذلك

(١) البخاري، ١/٧٥ (٢٢٥)، ومسلم، ١/٢٤٢ (٢٠).

(٢) البخاري، ١/٤٩ (٨).

(٣) البخاري، ٦/١٥٦ (ح ٣٠٢٥)، سنن سعيد بن منصور، ٢/٢٠٣ (٢٥١٨).

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

يباين الاحتياط والأخذ بالحزم.

وقيل: يحمل النهي على ما إذا وقع الشك في المصلحة أو حصول الضرر، وإلا فالقتال فضيلة وطاعة^(١).

ويؤيد الأول تعقيب النهي بقوله (وسلوا الله العافية)، وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلاً «لا تمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم»^(٢).

وذكر القاضي نحو هذه المعاني، وزاد: لا تتمنوا لقاءه على حالة يشك في غلبته لكم، أو يخاف منه أن يستبيح الحريم، أو يذهب الأنفس والأموال، أو يدرك منه ضرر^(٣).

ويؤخذ من الحديث الإشارة بالدعاء إلى وجوه النصر عليهم .
ولسعيد بن منصور من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي عن النبي ﷺ مرسلاً نحوه لكن بصيغة الأمر عطفاً على قوله «وسلوا الله العافية: فإن بليتكم بهم فقولوا اللهم...» فذكره وزاد: «وغضوا أبصاركم واحملوا عليهم على بركة الله»^(٤). وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار، ووصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم، وتعليمهم بما يحتاجون إليه، وسؤال الله تعالى بصفاته الحسنی وبنعمه السالفة، ومراعاة نشاط النفوس لفعل

(١) الفتح، ١٥٦/٦.

(٢) سنن سعيد بن منصور، ٢٠٤/٢ (٢٥١٩)، الفتح، ١٥٦/٦-١٥٧.

(٣) إكمال المعلم، ٤٣/٦.

(٤) سنن سعيد، ٢٠٥/٢ (٢٥٢١).

الطاعة، والحث على سلوك الأدب وغير ذلك^(١).

المطلب الخامس: وجود الإمام وطاعته:

لقد جاءت النصوص مؤكدة على ضرورة وجود الأمير، مع الأمر بالطاعة إلا إذا أمر بمعصية.

والمقصود بالأمر، القائم بشؤون الناس، والذين هم الجمهور، والأكثرية الساحقة من الأمة. وقد أمر القرآن الكريم بطاعة أولي الأمر؛ لما في ذلك من المصالح العامة وقوة الأمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

روى البخاري حديث: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه»^(٣). وقوله: «إنما الإمام جنة» بضم الجيم أي ستر؛ لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويكف أذى بعضهم عن بعض في أموالهم وأنفسهم، فهو ستر لهم وحرز لهم من ذلك. والمراد بالإمام كل قائم بأمر الناس، والله أعلم^(٤).

وقال القاضي: أي أنه كالساتر وكالترس لمنعه وحمايته بيضة

(١) الفتح، ١٥٧/٦.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) البخاري، ١١٦/٦ (ح ٢٩٥٧).

(٤) الفتح، ١١٦/٦.

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

المسلمين، واتقائهم بمكانه ونظره عدوهم، وهو معنى قوله (يقاتل من ورائه)^(١).

قال: ولا يجوز الخروج على الإمام العدل بالاتفاق. وجمهور أهل السنة من أهل الحديث والفقه، أنه لا يخلع بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه ونصحه، والصبر عليه؛ لأن ما تؤدي الفتنة إليه من الخروج أشد^(٢).

المطلب السادس: التحذير من التنازع ووجوب التطاوع:

ذكر البخاري باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وروى فيه الحديث أن النبي ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»^(٣).

والأمر بترك التنازع مطلوب في جميع الأوقات وخاصة في أحوال الحرب. والاتفاق والتطاوع واللين من أهم أسباب القوة في المجتمع في السلم وفي الحرب كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤)

الريح: يعني الحرب كما قال قتادة ورواه عبد الرزاق. والفشل: الجبن^(٥).

(١) إكمال المعلم، ٢٤٩/٦.

(٢) إكمال المعلم، ٢٤٦/٦-٢٤٧.

(٣) البخاري، ١٦٢/٦ (٣٠٣٨).

(٤) الانفال: ٤٦.

(٥) البخاري، ١٦٢/٦، تفسير عبد الرزاق، ٢٦٠/١ القسم الأول.

وثبت في السيرة النبوية أن النبي ﷺ كان إذا أرسل جيشاً، ثم أرسل مدداً وعوناً، أمر الأميرين بأن يتطاوعا . وهذه إشارة نبوية للمسلمين عامة أصدقاء، وأقرباء، وعامتهم أن يتطاوعوا، والأفضل والأصلح هو الذي يقتدي بسنة النبي ﷺ ويمثل أمره ووصيته كما فعل أبو عبيدة .

المطلب السابع: بر الوالدين من الجهاد:

ذكر البخاري في الصحيح باب الجهاد بإذن الأبوين، وأورد فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحبي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(١). قوله: (ففيهما فجاهد) أي خصصهما بجهاد النفس في رضاهما. ويؤخذ منه أن كل شيء يتعب النفس يسمى جهاداً.

وفيه أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد. وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة . ولمسلم وسعيد بن منصور عن عبد الله بن عمرو، في نحو هذه القصة قال: «ارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٢). ولأبي داود، وابن حبان من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو: «ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما»^(٣). وفي حديث أبي سعيد عند أبي داود، بلفظ: «ارجع

(١) البخاري، ١٤٠/٦ (ح ٣٠٠٤).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٠٤/١٦، كتاب البر والصلة، سنن سعيد بن منصور، ٢٣٢/٢ (٢٣٣٥).

(٣) سنن أبي داود، ٣٨/٣ (٢٥٢٨)، الإحسان، ٣٢٦/١ (٤٢٤)، سنن سعيد، ١٣١/ (٢٣٣٢).

فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما» وصححه ابن حبان^(١).
قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين^(٢)؛ لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعيّن الجهاد فلا إذن.

ويشهد له ما أخرجه ابن حبان من طريق أخرى عن عبد الله بن عمرو جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال، قال: «الصلاة» قال: ثم مه؟ قال: «الجهاد» قال: فإن لي والدين، فقال: «أمرك بالدين خيراً». فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لأجاهدن ولأتركهما، قال: «فأنت أعلم»^(٣). وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقاً بين الحديتين. وفي الحديث فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما^(٤).
والتفاصيل في كتاب الأدب^(٥).

المبحث الثاني: التوجيهات النبوية قبل القتال:

المطلب الأول: حث الإسلام على إعداد العدة:

وذكر البخاري في كتاب الجهاد: باب التحريض على الرمي، وقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ﴾

(١) سنن أبي داود، ٣/٣٩ (٢٥٣٠)، الإحسان، ١/٣٢٥، ٣٢٦ (٤٢٣)، مسند أحمد، ٢/١٨٨،

١٩٢، سنن سعيد، ٢/١٣١ (٢٣٣٤).

(٢) الفتح، ٦/١٤٠، شرح مسلم للنووي، ١٦/١٠٤، روضة الطالبين، ٧/٤١٣.

(٣) الإحسان، ٣/١١١ (١٧١٩).

(٤) الفتح، ٦/١٤١.

(٥) الفتح، ١٠/٤٠٠، باب البر والصلة (ح ٥٩٧٢).

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿١﴾، لمح البخاري بما جاء في تفسير القوة في هذه الآية أنها الرمي.

وهو عند مسلم من حديث عقبة بن عامر، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً^(٢).

ولأبي داود، وابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر رفعه: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في صنعيته الخير، والرامي به، ومنبله. فارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا...» الحديث وفيه: «ومن ترك الرمي بعد علمه رغبةً عنه فإنها نعمة كفرها»^(٣). ولمسلم من وجه آخر عن عقبة رفعه: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى»^(٤). ورواه ابن ماجه بلفظ: «فقد عصاني».

قال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي، وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو، وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فينهزم من خلفه^(٥). وروى مسلم عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه».

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) الصحيح مع الإكمال، ٣٤٦/٦ (١٩١٧)، سنن سعيد، ١٧٠/٢ (٢٤٤٨).

(٣) سنن سعيد، ١٧١/٢ (٢٤٥٠).

(٤) الصحيح، ٣٤٧/٦ (١٩١٩).

(٥) الفتح، ٩١/٦.

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

قال القاضي: فيه جواز المناضلة والمسابقة بالسهام والحض على ذلك، وألا يترك ذلك، وإن استغنى عنه بما كفى الله من الفتح على الأعداء وظهور الدين، ومثله جواز اللعب بالسلاح والمثاقفة وإجراء الخيل وأشباه هذا.. إذ في كل ذلك التمرن والاستعداد، ومعاهدة الجسم، ورياضة الأعضاء بها^(١). ثم ذكر البخاري في هذا الباب حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر الرسول ﷺ على نفرٍ من أسلم يتضلون وفيه: فقال النبي ﷺ: «ارموا بني إسماعيل ... ارموا فأنا معكم كلكم»^(٢).

يتضلون: بالضاد المعجمة أي يترامون، والتناضل الترامي للسبق، ونضل فلان فلاناً إذا غلبه.

قوله: «وأنا معكم كلكم» بكسر اللام، ووقع في مرسل عروة أخرجه السراج: «وأنا مع جماعتكم». والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير. ويستفاد منه حسن أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ.

وفي الحديث: التنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله وتطبيب قلوب مَنْ هم دونه. وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمر الحرب. وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحموده، والعمل بمثله^(٣). والحديث يدل على أنه يجب على المسلمين التعلم والبحث في شتى الأسباب وخاصة السهلة الميسورة التي يمكن تنفيذها والقيام بها لرد المعتدي وحماية المجتمع والأمة، ومن ذلك التخطيط والعمليات التي تؤثر فيه وتسبب له

(١) صحيح مسلم مع إكمال المعلم، ٣٤٦/٦، ٣٤٧ (١٩١٨).

(٢) البخاري، ٩١/٦ (ح ٢٨٩٩).

(٣) الفتح، ٩٢/٦.

القلق والاضطراب.

المطلب الثاني: الاستعداد قبيل القتال:

ذكر ابن إسحاق أن الله تعالى أنزل في شأن أحد ستين آية من آل عمران: - (وفيها صفة ما كان في يومهم ذلك...) ^(١). وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾ ﴿آل عمران: ١٢١﴾ ^(٢). وتدل الآيات على أحداث غزوة أحد منذ بدايتها وقبل القتال، وتوضح الوقت الذي خرج فيه النبي ﷺ من أهله أي من بيته ومدينته، وحتى وصوله إلى ساحة القتال، حيث قام بأهم مراحل القتال وهو الاستعداد، وتوزيع الجيش والاستفادة من بعض المواقع لتعزيز قوة المسلمين.

قوله: (غدوت) أي خرجت أول النهار. و(تبوئ المؤمنين) أي تنزلهم، وأصله من المأب والمباءة وهو المرجع ^(٣).

والمقاعد: جمع مقعد، والمراد به مكان القعود، رواه الطبري عن قتادة ومجاهد، والسدي ^(٤). وعند البخاري (تبوئ: تتخذ معسكراً) ^(٥). وهو

(١) سيرة ابن هشام، ١٦٠/٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، خ/١٢١/٢ (١٨٧٤). والآيات ١٢١-١٥٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج، ٤٦٥/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨٤/٤.

(٤) التفسير، ٦٩/٤.

(٥) البخاري، ٢٠٧/٨.

تفسير أبي عبيدة للآية، قال: أي تتخذ لهم مصاف ومعسكراً^(١). وذكر ابن إسحاق عن شيوخه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة تفاصيل غزوة أحد وفيها أنه ﷺ صف أصحابه بأصل أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وعهد إليهم ألا يتركوا منازلهم...^(٢).

وكان وضع الرماة من أهم الأمور التي قام بها النبي ﷺ قبيل القتال للاستفادة من قلة أصحابه وكثرة عدوه، ولمواجهة الفرسان والخيالة، ولمراقبة ما يحدث في الميدان من خلال كونهم في مكان مرتفع، ويعتبر كالحصن.

كما جعل النبي ﷺ عليهم أميراً، وذلك يتطلب ألا يقوموا بأي تحرك أو ترك للمكان إلا بإذن الأمير، وهذا يعتبر أيضاً من القواعد العسكرية، وهي أن كل جماعة أسندت إليها مهمة من المصلحة تأمير أمير عليها يكون أهلاً لمعالجة الأمور التي تطرأ وتواجهه. وقد أدرك النبي ﷺ أهمية وجود الرماة على الجبل، وأنه من أسباب السيطرة على زمام الأمور في المعركة، ولهذا وضع عدداً يعتبر ليس بالقليل بالنسبة لعدد المسلمين الإجمالي، كما حثهم على البقاء وحذرهم من ترك المكان مهما كانت الأمور، وبشرهم بأنهم سيظهرون وينتصرون إذا لم يبرحوا المكان.

كما رواه الطبري عن السدي وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ (آل عمران: ١٥٢). والمراد

(١) مجاز القرآن، ١/١٠٣.

(٢) سيرة ابن هشام، ٢/٦٠-٦٨، الدلائل للبيهقي، ٣/٢٠٦، تفسير الطبري، ٤/٧١، عيون

الأثر، ٥/٢، البداية والنهاية، ١١/٥.

بالوعد قوله ﷺ: «إنكم ستظهرون عليهم فلا تبرحوا من مكانكم حتى آمركم»^(١).

ومن طريق آخر عن السدي: بلفظ: «إنا لن نزال غاليين ما ثبتم مكانكم»^(٢).

ومعنى «تَحْسُونَهُمْ» أي تقتلونهم، وتستأصلونهم. وهو قول أبي عبيدة^(٣). وقد أخرج البخاري حديث البراء، وفيه: (وجعل الرماة على جبل عيين الذي أصبح يعرف بجبل الرماة، وعيّن عبد الله بن جبير أميراً لهم)^(٤). وقد ذكر ابن إسحاق ما يوضح بعض الأمور التي أرادها النبي ﷺ من وجود الرماة على الجبل، حيث قال لهم ﷺ: «انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا»^(٥).

وفي رواية عند البخاري: «لا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا» وفي رواية عنده أيضاً عن زهير: «حتى أرسل لكم، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير»^(٦). وفي حديث ابن عباس الذي رواه أحمد، والطبراني والحاكم أن النبي ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال لهم: «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل

(١) تفسير الطبري، ١٢٤/٤، الدر المنثور، ٣٤٤/٢.

(٢) تفسير الطبري ١٢٥/٤.

(٣) مجاز القرآن، ١٠٤/١.

(٤) البخاري، ٣٦٤/٧ (ح ٤٠٦٧)، و٢٢٧/٨ (ح ٤٥٦١).

(٥) سيرة ابن هشام، ٦٥/٢.

(٦) ١٦٢/٦ (٣٠٣٩).

فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا»^(١).

ولا شك أن هذا أبلغ وأوفى في بيان الأمر بالثبات، كما أنه يشير إلى احتمال حدوث الأمرين معاً، وقد تحقق ذلك، كما في الآية الكريمة.
استخدام الوسائل المناسبة:

لقد حث الإسلام على الاجتهاد في تحصيل أسباب القوة ومن الوسائل التي كانت موجودة في العهد النبوي وما بعده:

حفر الخندق، وكان ذلك في غزوة الأحزاب لاجتماع قريش وحلفائها على مهاجمة المسلمين في المدينة، وكانوا في عشرة آلاف، وبعد المشاورة فيما يجب فعله أشار سلمان رضي الله عنه بحفر الخندق فأصبحت تسمى أيضاً بهذا الاسم، وذلك في شوال سنة خمس^(٢).

وذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر أن سلمان قال للنبي ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة من جهة شمالها، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم^(٣).

المطلب الثالث: المشاورة:

لقد حرص النبي ﷺ على تعليم أمته كل ما من شأنه أن يوصلهم إلى أصوب وأسلم الأمور، ويبعدهم عن الأخطاء التي قد تحدث، وخاصة في

(١) (المسند، ٢٨٧/١ مطولاً، المعجم الكبير، ١٠/٣٦٦ (١٠٧٦٦)، المستدرک، ٢/٢٩٦.

(٢) طبقات ابن سعد، ٦٦/٢، دلائل البيهقي، ٣/٣٩٤، عيون الأثر، ٢/٧٩.

(٣) مغازي الواقدي، ٢/٤٤٥، تاريخ الطبري، ٣/٤٤، المغازي للذهبي، ٢٥١.

المجال العسكري الذي يكون الخطأ فيه له أثر كبير في زيادة الشهداء، وحدث خسارة كبيرة في الجيش.

ولهذا كان من أهم التوجيهات النبوية في جميع الجوانب ومنها العسكرية تأسيس قاعدة الشورى. وخصص العلماء باباً في هذا الجانب وهو باب المشاورة في الحرب^(١).

ومما يدل على أهمية الشورى في الجانب العسكري أنه في غزوة بدر الكبرى والتي هي أول غزوة حدث فيها مواجهة بين المسلمين وقريش نجد أن النبي ﷺ شاور أصحابه عدة مرات في شأن هذه الغزوة: المرة الأولى في المدينة قبل الخروج لاعتراض التجارة أثناء رجوعها من الشام محملة بالأموال^(٢).

الثانية بعد الخروج والوصول إلى وسط الطريق بين المدينة وبدر في أمر القتال^(٣).

الثالثة في شأن الأسرى وقتلهم أو فدائهم^(٤).
الدعاء قبل القتال: (الحدث)

(١) مجمع الزوائد، ٣٢٢/٥، السنن الكبرى للنسائي، ٥/٨.

(٢) صحيح مسلم، ١٢/١٢، البداية والنهاية، ٢٦٣/٣، تفسير ابن أبي حاتم، ص ٤٥١ (٢٨٢).

(٣) صحيح البخاري، ٢٨٧/٧، السيرة النبوية لابن هشام، ٦١٥/١، الدلائل للبيهقي، ٣١/٣، تفسير الطبري، ١٨٨/٩.

(٤) البخاري، ٣٢١/٧ (ح ٤٠١٨)، سيرة ابن هشام، ٦٥٩/١، سنن الترمذي، ٦٤/٣ (١٦١٤)، المستدرک، ١٤٠/٢، الإحسان، ١٤٣/٧ (ح ٤٧٧٥).

قد ورد في الأحاديث عن ابن عباس، وعن علي، وعن ابن مسعود، وغيرهم أن النبي ﷺ لما كان يوم بدر نظر إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه. فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته: «اللهم لا تخذلني، اللهم لا تتركني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك»

واشتد النبي ﷺ في الدعاء والإلحاح والتضرع، حتى سقط الرداء عن منكبه فجاء أبو بكر ركباً وأعاده وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩)^(١).

قال الخطابي: لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقتة على أصحابه وتقوية قلوبهم^(٢).

وقال السهيلي: ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش لأنه لا يقاتل معهم، فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء^(٣). وهذا يعني أنه في حال حدوث الشر على المسلمين ومن ذلك مواجهة المعتدين يشرع للجميع أن يتضرعوا لله تعالى بالنصر وزوال الشر.

(١) صحيح البخاري، ٦١٩/٨، و٢٨٧/٧ (ح ٣٩٥٣)، صحيح مسلم، ٨٤/١٢، مسند أحمد، ٣٢٩/١، سنن سعيد بن منصور، ٣١٢/٢ (ح ٢٨٧٢)، المستدرک، ٢٢٢/١، المعجم الكبير للطبراني، ١٨١/١٠ (ح ١٠٢٧٠).

(٢) أعلام الحديث، ١٧٠٢/٣، شرح الحديث (٨٣١).

(٣) الروض الأنف، ٤٧/٣.

المطلب الرابع: آداب الإسلام عند تحتم الجهاد:

تحريم الإسلام قتل النساء والأطفال^(١) ومن في حكمهم من المستضعفين والعزل:

أخرج الإسماعيلي من طريق جعفر الفريابي عن علي عن سفيان وكان الزهري إذا حدث بهذا الحديث قال: وأخبرني ابن كعب بن مالك عن عمه «أن رسول الله ﷺ لما بعث إلى ابن أبي الحقيق نهى عن قتل النساء والصبيان»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ لما أذن للرهط بقتل سلام بن أبي الحقيق قال لهم: «لا تقتلوا وليداً، ولا امرأة...»^(٣). وهذا الحديث أخرجه أبو داود بمعناه من وجه آخر عن الزهري. وذكر البخاري حديث ابن عمر في نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان^(٤). وقال مالك والأوزاعي: لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان، أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم.

وقد أخرج ابن حبان في حديث الصعب زيادة في آخره: «ثم نهى عنهم يوم حنين».

(١) صحيح مسلم، ٤٧/٦ (١٧٤٤)، سنن أبي داود، ١٢١/٣ (٢٦٦٨)، مجمع الزوائد، ٣١٨/٥، روضة الطالبين، ٤٤٤/٧.

(٢) الفتح، ١٤٨/٦.

(٣) الصحابة لأبي نعيم، ١٠٠٢/٢ (٢٥٦٠)، مجمع الزوائد، ٣١٨/٥.

(٤) البخاري، ١٤٨/٦ (ح ٣٠١٤).

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

وهي مدرجة في حديث الصعب، وذلك بين في سنن أبي داود، فإنه قال في آخره: قال سفيان: قال الزهري: «ثم نهى رسول الله ﷺ بعد ذلك عن قتل النساء والصبيان»^(١).

ويؤيد كون النهي في غزوة حنين ما ورد في حديث رباح بن الربيع، فقال لأحدهم: «الْحَقُّ خالداً فقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً». والعسيف - بمهملتين وفاء - الأجير وزناً ومعنى. وخالد أول مشاهده مع النبي ﷺ غزوة الفتح، وفي ذلك العام كانت غزوة حنين. قال الثوري والأوزاعي: لا يقتل العسيف، ولا الحرث، ولا صاحب الصومعة ولا الشيخ المسن^(٢).

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر قال: «لما دخل النبي ﷺ مكة أتى بامرأة مقتولة فقال: ما كانت هذه تقاتل ونهى» فذكر الحديث. ونحوه عند الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد في النهي عن قتل النساء والصبيان، وأنها لمن غلب^(٣).

وأخرج أبو داود في المراسيل عن عكرمة أن النبي ﷺ رأى امرأة مقتولة بالطائف فقال: «ألم أنه عن قتل النساء، من صاحبها؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلني، فقتلتها، فأمر بها أن توارى. وذكره الهيثمي عن ابن عباس، وعزاه لأحمد والطبراني^(٤). ويحتمل

(١) السنن، ١٢٣/٣، ١٢٤ (٢٦٧٢).

(٢) معالم السنن للخطابي، ١٢٣/٣، روضة الطالبين، ٤٤٤/٧.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع، ٣٢١/٥، الفتح، ١٤٨/٦، ١٤٩.

(٤) مجمع الزوائد، ٣١٩/٥.

في هذا التعدد، والذي جنح إليه غيرهم الجمع بين الحديثين. وهو قول الشافعي والكوفيين، وقالوا: إذا قاتلت المرأة جاز قتلها.

قال القاضي: أجمع العلماء على الأخذ بهذا الحديث في ترك النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، واختلفوا إذا قاتلوا^(١).

وقال ابن حبيب من المالكية: لا يجوز القصد إلى قتلها إذا قاتلت إلا إن باشرت القتل وقصدت إليه، قال: وكذلك الصبي المراهق. ويؤيد قول الجمهور ما أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث رياح بن الربيع - وهو بكسر الراء والتحتانية - التميمي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين، فرأى امرأة مقتولة فقال: «ما كانت هذه لتقاتل»^(٢).

فإن مفهومه أنها لو قاتلت لقتلت. واتفق الجميع كما نقل ابن بطال وغيره على منع القصد إلى قتل النساء، والولدان، أمّا النساء فلضعفهنّ، وأمّا الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعاً من الانتفاع بهم إما بالرق أو بالفداء فيمن يجوز أن يفادى به^(٣). وفي سنن سعيد بن منصور: النهي عن قتل العسيف والوصيف^(٤).

(١) إكمال المعلم، ٤٨/٦.

(٢) سنن أبي داود، ١٢٢/٣، (٢٦٦٩)، السنن الكبرى للنسائي، ٢٦/٨، ٢٧ (٨٥٧١)،

٨٥٧٢، موارد الظمان ٣٩٨ (١٦٥٦)، الإحسان، ١٤٠/٧ (٤٧٦٩)، سنن سعيد،

٢٣٨/٢ (٢٦٢٣).

(٣) الفتح، ١٤٨/٦.

(٤) السنن، ٢٣٩/٢ (٢٦٢٨)، والوصيف هو العبد.

المطلب الخامس: الالتزام بالنظام:

قد ذكر البخاري باب استئذان الرجل الإمام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ إلى آخر الآية^(١).

ومعنى الترجمة استئذان الفرد من الرعية من الإمام وهو الأمير في الرجوع أو التخلف عن الخروج أو نحو ذلك.

قال ابن التين: هذه الآية احتج بها الحسن على أنه ليس لأحد أن يذهب من العسكر حتى يستأذن الأمير. وهذا عند سائر الفقهاء كان خاصاً بالنبي ﷺ. والذي يظهر أن الخصوصية في عموم وجوب الاستئذان، وإلا فلو كان ممن عينه الإمام، فطراً له ما يقتضي التخلف أو الرجوع فإنه يحتاج إلى الاستئذان^(٢). وقد أورد البخاري في هذا الباب حديث جابر في خروجه مع النبي ﷺ في غزوة وفي الرجوع منها تخلف بسبب ضعف جملة الذي لا يكاد يسير، ولحق النبي ﷺ به وتبريكه على الجمل حتى قام وسار مع الإبل، ثم قصة بيع الجمل للنبي ﷺ وفيه فقال جابر: فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة، قال فقلت: يا رسول الله، إني عروس، فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة... وفيه سبب زواج جابر ثيباً^(٣).

(١) النور : ٦٢.

(٢) الفتح، ١٢١/٦.

(٣) البخاري، ١٢١/٦ (ح ٢٩٦٧).

المطلب السادس: أهمية اللواء:

قال الطبري: في حديث علي إن الإمام يؤمّر على الجيش من يوثق بقوته وبصيرته ومعرفته.

وقال المهلب: وفي حديث الزبير أن الراية لا تركّز إلا بإذن الإمام؛ لأنها علامة على مكانه، فلا يتصرف فيها إلا بأمره^(١). وفي هذه الأحاديث: استحباب اتخاذ الأولوية في الحروب، وأن اللواء يكون مع الأمير، أو من يقيمه لذلك عند الحرب.

كما في حديث أنس في غزوة مؤتة، وفيه: أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب^(٢) الحديث... شرحه في المغازي.

التورية والحفاظ على أسرار الجيش:

وقد ذكر البخاري باب من أراد غزوة فوّرّى بغيرها، وأخرج فيه حديث كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل غزو عدوّ كثير، فجلّى للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوّهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريد^(٣). ومعنى (ورّى) أي ستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره وأصله من الوري بفتح ثم سكون وهو ما يجعل وراء الإنسان، لأن من ورّى بشيء كأنه جعله وراءه.

(١) الفتح، ١٢٧/٦.

(٢) الفتح، ١٢٧/٦-١٢٨.

(٣) البخاري، ١١٣/٦ (ح ٢٩٤٨).

وقيل هو في الحرب: أخذ العدو على غرة^(١).

المطلب السابع: المفاجأة والمباغطة:

كما حدث في غزوة بني المصطلق وتسمى (المريسيع) وهم بطن من خزاعة، وهذا الموقع قريب من الفرع من جهة الساحل^(٢). وكانت هذه الغزوة في شعبان سنة خمس^(٣).

وثبت في الصحيح في كتاب العتق عن ابن عمر ما يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم، ولفظه: «إن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تستقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم» الحديث^(٤). ومع أنه ورد في كتب السير أن النبي ﷺ صف أصحابه للقتال، لكن الأثبت هو الذي في الصحيح، مع إمكان الجمع^(٥). وهذا الحديث في الإغارة عليهم وهم غافلون قد رواه مسلم عن ابن عون عن نافع^(٦). واستدل به نافع على نسخ الأمر بالدعاء إلى الإسلام قبل القتال^(٧). واختلف العلماء في الدعوة قبل القتال، وملخصه أن من لم تبلغه الدعوة

(١) الفتح، ١١٣/٦.

(٢) البلدان لياقوت، ١١٨/٥، معجم ما استعجم للبكري، ١٢٢٠/٤.

(٣) البخاري، ٤٢٨/٧، سيرة ابن هشام، ٢٨٩/٢، الدلائل للبيهقي، ٤٦/٢، تاريخ خليفة، ٨٠، تاريخ الطبري، ٦٣/٣.

(٤) ١٧٠/٥ (ح ٢٥٤١).

(٥) الفتح، ٤٣١/٧.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٥/١٢.

(٧) الفتح، ١٧١/٥.

يجب في حقه الدعوة أولاً، ولا يفاجأ. وأما من بلغته الدعوة بأي وسيلة فلا يشرع في حقه الدعوة^(١).

المطلب الثامن: الخدع في الحرب:

ذكر البخاري باب الحرب خدعة، وأورد الأحاديث عن أبي هريرة وعن جابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الحرب خدعة»^(٢).

وقوله: (خدعة) بفتح المعجمة وبضمها مع سكون المهملة فيهما وبضم أوله وفتح ثانيه. وكان النبي ﷺ يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها، ويعطي معناها أيضاً الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن ولو مرة وإلا فقاتل؛ فكانت مع اختصارها كثيرة المعنى.

ومعنى (خدعة) بالإسكان أنها تخدع أهلها. وأصل الخدع: إظهار أمر، وإضمار خلافه. وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه^(٣).

قال النووي: واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز. قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك. وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة، ولهذا وقع الاختصار على ما يشير إليه بهذا الحديث. ذكر

(١) الفتح، ١٠٨/٦، إكمال المعلم، ٢٩/٦، الفقه الإسلامي وأدلته، ٤١٩/٦.

(٢) البخاري، ١٥٧/٦، ١٥٨، (ح) ٣٠٢٨ و ٢٩ و ٣٣.

(٣) الفتح، ١٥٨/٦.

الواقدي أن أول ما قال النبي ﷺ «الحرب خدعة» في غزوة الخندق^(١).

المطلب التاسع: الكذب في الحرب:

ذكر البخاري هذه الترجمة وأورد فيها حديث جابر في قصة قتل كعب بن الأشرف، وقول محمد بن مسلمة لكعب (إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - قد عنانا وسألنا الصدقة...) ^(٢)، وفيه قول محمد بن مسلمة للنبي ﷺ: (إذن لي أن أقول، قال: قل).

وهذا يدخل فيه الإذن في الكذب تصريحاً وتلويحاً. وقد جاء من ذلك صريحاً ما أخرجه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: تحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس»^(٣).

قال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها في الحرب. والظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة لكن التعريض أولى^(٤).

وقال ابن العربي: الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب

(١) ١٥٨/٦.

(٢) البخاري، ١٥٩/٦ (ح ٣٠٣).

(٣) الفتح، ١٥٩/٦.

(٤) شرح مسلم، ٤٥/١٢، إكمال المعلم للقاضي، ٤٢/٦.

بالعقل ما انقلب حلالاً^(١).

المبحث الثالث:

التوجيهات والآداب أثناء وبعد القتال

المطلب الأول: التعرض لأموال العدو:

أثناء القتال قد تكون هناك ضرورة لبعض الإجراءات لتدمير بعض الحصون والبساتين^(٢).

وقد ذكر البخاري (باب حرق الدور والنخيل) وأورد فيه حديث جرير في إحراقه لذي الخلصة، وحديث ابن عمر أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير^(٣). وذهب الجمهور إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدو، وكرهه الأوزاعي والليث وأبو ثور، واحتجوا بوصية أبي بكر لجيوشه ألا يفعلوا شيئاً من ذلك. وأجاب الطبري بأن النهي محمول على القصد لذلك، بخلاف ما إذا أصابوا ذلك في خلال القتال، كما وقع في نصب المنجنيق على الطائف، وهو نحو ما أجاب به في النهي عن قتل النساء والصبيان، وبهذا قال أكثر أهل العلم، ونحو ذلك القتل بالتغريق. وقال غيره: إنما نهى أبو بكر جيوشه عن ذلك؛ لأنه علم أن تلك البلاد ستفتح، فأراد إبقاءها على المسلمين. والله أعلم^(٤). وقال القاضي:

(١) الفتح، ١٥٩/٦.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٢٣/٦.

(٣) البخاري، ١٥٤/٦ (ح ٣٠٢٠، ٣٠٢١)، مسلم، ٥١/٦ (١٧٤٦).

(٤) الفتح، ١٥٥/٦.

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

والمشهور من مذهبنا جواز قطعها إذا لم يُزَجَّ مصيرها للمسلمين، وكان قطعها يضر العدو ويؤذيه^(١).

المطلب الثاني: الثبات أثناء القتال:

وقد دلَّ القرآن الكريم على هذا الأمر لأهميته كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

والثبات يكون أكثر ضرورة حين يشعر الجيش بقوة خصمه أو تحدث مفاجآت، فيكون الثبات من أهم أسباب النصر.

المطلب الثالث: الحفاظ على العتاد:

ومن أسباب الحفاظ على العتاد عدم استخدامه بصورة واسعة مكثفة وعشوائية بدون التأكد من تحقيق وإصابة هدفه.

وقد وصف الله تعالى المؤمنين يوم بدر بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣) أي قليلو العدد والعدة بالنسبة إلى كثرة عدد وعتاد أعدائهم، وكان النبي ﷺ يدرك هذا الأمر فأمر أصحابه بأخذ التدابير والاحتياطات اللازمة كما رواه البخاري وغيره عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الخزرجي الساعدي قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «إذا أكتبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم، واستبقوا نبلكم»^(٣). ومعنى

(١) إكمال المعلم، ٥١/٦، روضة الطالبين، ٤٤٥/٧.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) البخاري، ٣٠٦/٧ (ح ٣٩٨٤)، و ٩١/٦ (ح ٢٩٠٠).

(إذا أكثبوكم) أي: إذا قربوا ودنوا منكم، وهذا هو المعتمد^(١). وفي رواية أبي داود (يعني غشوكم)^(٢)، وهو أشبه بالمراد، ويؤيده ما وقع عند ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه ألا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم، وقال: «إذا أكثبوكم فانضحوهم عنكم بالنبل»^(٣). وكثب بفتحيتين وهو القرب. وقال ابن فارس: أكثب الصيد: إذا أمكن من نفسه. فالمعنى إذا قربوا منكم فأمكنوكم من أنفسهم فارموهم^(٤). وقوله: (واستبقوا نبلكم) فعل أمر بالاستبقاء، وهو طلب الإبقاء، إلى أن تحصل المصادمة فارموهم ببعض نبلكم لا بجميعها. والذي يظهر أن المراد بالأمر بتأخير الرمي حتى يقربوا منهم، أي أنهم إذا كانوا بعيداً لا تصيبهم السهام غالباً، وإن أصابت فلا تؤثر التأثير المقصود، فالمعنى استبقوا نبلكم في الحالة التي إذا رميتم بها لا تصيب غالباً ولا تؤثر، وإذا صاروا إلى الحالة التي يمكن فيها الإصابة والتأثير غالباً فارموا^(٥). وفي لفظ الحديث عند البخاري في الجهاد: قال النبي ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا: «إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل»^(٦).

(١) النهاية، ١٥١/٤، لسان العرب، ٧٠٢/١، الفتح، ٣٠٦/٧.

(٢) سنن أبي داود بشرح الخطابي، ١١٨/٣ (ح ٢٦٦٣)، الدلائل للبيهقي، ٧٠/٣.

(٣) سيرة ابن هشام، ٦٢٥/١.

(٤) مجمل اللغة، ٧٧٩/٢.

(٥) الفتح، ٣٠٦/٧-٣٠٧.

(٦) البخاري، ٩١/٦ (ح ٢٩٠٠).

وفي رواية له: «ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم». فظهر أن معنى الحديث: الأمر بترك الرمي والقتال حتى يقربوا؛ لأنهم إذا رموهم على بُعد قد لا تصل إليهم وتذهب في غير منفعة، وإلى ذلك الإشارة بقوله: (واستبقوا نبلكم) وعرف بقوله: (ولا تسلوا السيوف...) أن المراد بالقرب المطلوب في الرمي قرب نسبي بحيث تنالهم السهام لا قرب قريب بحيث يلتحمون معهم.

والنبل: بفتح النون وسكون الموحدة جمع نبله، ويجمع أيضاً على نبال، وهي السهام العربية اللطاف^(١).

المطلب الرابع: الاعتناء بالأسرى، وإطلاقهم بدون فداء:

ذكر البخاري في صحيحه باب الكسوة للأسارى. قال الحافظ: أي بما يوارى عوراتهم، إذ لا يجوز النظر إليها. وأورد حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبيي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه^(٢).

وقوله: (يقدر عليه) بضم الدال، وإنما كان ذلك لأن العباس كان بين الطول، وكذلك كان عبد الله بن أبيي^(٣). مما يؤكد أن الإسلام لا يقصد من الجهاد سفك الدماء واسترقاق الناس وإذلالهم أو أخذ أموالهم فعل النبي ﷺ من خلال عزمه على إطلاق أسارى بدر بدون فداء. كما ثبت في

(١) الفتح، ٩٢/٦.

(٢) البخاري، ١٤٤/٦ (٣٠٠٨).

(٣) الفتح، ١٤٤/٦.

البخاري عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التني لتركهم له»^(١).

قال ابن بطال: هذا يدل على أن للإمام أن يُمْن على الأسارى بغير فداء خلافاً لمن منع ذلك^(٢). وخير مثال لكرم النبي ﷺ منه على ثمامة بن أثال كما رواه مسلم عن أبي هريرة وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة» فانطلق واغتسل، وأسلم... وذهب إلى مكة معتمراً، وقال لقريش: ولا، والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ^(٣).

قال القاضي: فيه دليل على صحة يقينه وعلوّ همته، وأنه لم يسلم على القسر، والقهر وإنما من اختياره وطيب نفسه^(٤). وشبيه بهذا الإكرام ما حدث بعد فتح مكة ومن ذلك منّه على أهل مكة الذين آذوه بكل أنواع الأذى وكذلك آذوا أصحابه ومع ذلك قال لهم: «من دخل داره فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»^(٥)، ولا يذكر التاريخ أبداً أن أحداً أكرم مخالفه وخصومه بهذا الإكرام، وزادهم بإعطائهم الأموال مع المؤلفة قلوبهم. ومن ذلك منّه ﷺ على هوازن، وتحلله من المسلمين.

وقوله ﷺ: «أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإنني قد

(١) البخاري، ٢٤٣/٦ (ح ٣١٣٩).

(٢) الفتح، ٢٤٣/٦.

(٣) مسلم، ٩٨/٦، ٩٩ (١٧٦٤).

(٤) إكمال المعلم، ٩٩/٦.

(٥) صحيح مسلم، ١٤٠/٦ (١٧٨٠).

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

رأيت أن أرد إليهم سبيهم...» فقال الناس: قد طيبتنا ذلك يا رسول الله لهم^(١).
هذه أخلاق الأنبياء والصحابة الذين هم أعظم الناس بعد رسول الله ﷺ، لم يكن همهم القتل والمال ومتاع الدنيا، بل كانوا يعلمون حقيقة الدنيا ويفقهون معاني الإسلام ويحرصون على إدخال الناس فيه.
المطلب الخامس: إيثار النبي ﷺ لأمتة ومنهم: أهل الصفة والأرامل والمساكين^(٢).

من أخلاقه وصفاته ﷺ أنه يكسب المعدوم، ومن المعاني لهذا اللفظ أنه يجهد، ويعمل ليكسب ويفيد غيره، وهذا قبل النبوة، أما بعدها، فإن الأموال التي خص الله تعالى بها نبيه من الأنفال، والخمس، والفبي فإن النبي ﷺ لم يكن يخص بها نفسه، بل كان يؤثر بها غيره، وخاصة ضعفاء المسلمين.

وفهم من هذا أن الجهاد لا يقصد منه بالدرجة الأولى جمع الأموال وأخذها من المقاتلين، ثم الاستفادة منها بصورة شخصية ذاتية، وإنما كان الأمر إن تحتم الجهاد الشرعي من وقوع ظلم واعتداء من غير المسلمين الذين لم يدخلوا في الإسلام أصلاً، أو دخلوا فيه ولكنهم جحدوا ركناء، وحصلت غنائم فالأولى بالمسلم أن يستفيد من هذا المغنم، ويشارك في مساعدة إخوانه الآخرين وخاصة الضعفاء، كما كان نبينا ﷺ يفعل وهو قدوتنا وأسوتنا في كل العبادات والأحكام والآداب وجميع شؤون الحياة. وقد روى سعيد بن منصور في سننه حديث معاذ بن جبل قال: الغزو

(١) البخاري، ٢٣٦/٦ (ح ٣١٣١).

(٢) البخاري، ٢١٥/٦، (باب ٦).

غزوان، غزو يلتمس فيه وجه الله. وغزو لا يلتمس فيه وجه الله، فرياء، وسمعة، وشقاق ومعصية.

وروى مطولاً عن ابن عمر قال: للناس في الغزو جُزءان، فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله ... وأما الجزء الآخر فخرجوا ولم يذكروا الله...^(١).

المطلب السادس: إيثار المؤلفه وغيرهم بالأموال:

هم من أسلم ونيته ضعيفة أو كان يتوقع بإعطائه إسلام نظرائه. والمراد بقوله: (وغيرهم) أي غير المؤلفه ممن تظهر له المصلحة في إعطائه.

والمقصود بالأموال: أي من الخمس ومال الخراج، والجزية والفيء^(٢). وقد روى البخاري حديث أنس في إعطاء المؤلفه يوم حنين^(٣). وحديث الأعرابي الذي جذب رداء النبي ﷺ فضحك ﷺ ثم أمر له بعطاء^(٤).

قال الحافظ: في هذه الأحاديث وفي معناها: ذم الخصال السيئة وهي البخل والكذب والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها. وفيه ما كان في النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود، والصبر على جفأة الأعراب، ومن كمال خلقه أنه ﷺ كان يضحك ويسر مقابل جفائهم وغلظتهم. وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من

(١) السنن، ١٢٦/٢، ١٢٧-١٢٨ (٢٣٢٣)، ٢٣٢٤.

(٢) الفتوح، ٢٥٢/٦.

(٣) (ح ٣١٤٧).

(٤) (٣١٤٨ و ٣١٤٩).

الفخر المذموم^(١).

المطلب السابع: أحكام الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب:

من سماحة الإسلام والدلائل على كماله اشتماله على الأحكام الخاصة بين المسلمين فيما بينهم، وحتى مع المسلمين الذين هم في حكم البغاة والمحاربين والخارجين، حيث نجد أن الإسلام تناول الأحكام الخاصة بهذه الأمور، وجاء في السنة المشرفة بيان وتفسير الآيات الكريمة المبينة لكيفية التعامل معهم، والحدود لما يترتب على فسادهم.

كما اشتمل الإسلام على الأحكام الخاصة بغير المسلمين، وهذا يشير إلى سنة الله تعالى وحكمته في خلقه وعباده وملكه، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً. وجميع الأحكام في الإسلام لها حكمة، وتهدف إلى مصلحة العباد، المسلمين وغير المسلمين.

فالزكاة في حق المسلم تطهير للمسلم ولماله، وبركة عليه، وعلى رزقه، ونماء له وتوجب الرحمة والعفو من الله تعالى وتدخل في صلاة النبي ﷺ بالسكينة والطمأنينة. والزكاة تعليم للإنسان الأخلاق الحسنة، من الكرم، والبذل، والجود في وجوه الخير، المذكورة في آية الصدقات، وكذلك عامة الأمور الخيرية.

والجزية في الغالب ليست عقاباً وظلماً لغير المسلمين. بل هي عدل من الله تعالى، حيث لم يكره أحداً في الدين وهو نص الآية الكريمة،

(١) الفتح، ٢٥٤/٦.

والأحاديث الصحيحة في عرض الإسلام أو الجزية أو الحرب، ومقابل البقاء على دينه يؤخذ منه مقدار يسير، ولا يكلف ما لا يطيق. وقد روى سعيد بن منصور في السنن عدة أحاديث في العدل في أهل الذمة والصلح، وتحريم أخذ زيادة على ما تم عليه الصلح^(١).

وكان عمر رضي الله عنه يراقب عماله ويحذرهم من تكليف الناس ما لا يطيقون، أو تكليف الأرض نفسها ما لا تطيق، وما لا يتناسب مع غلاتها وإنتاجها؛ لأن ذلك ظلم وينشئ الأحقاد، ويشجع على التربص بالإسلام والمسلمين، ويمنع من الدخول في الإسلام، وهذا خلاف ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من أن الحكمة من خلقهم عبادته والإيمان بما أمرهم به.

ومن الحكمة في الجزية هو تشجيع الناس على البقاء في أرض المسلمين، ومخالطتهم للاطلاع على محاسن الإسلام مما يكون سبباً في الدخول فيه ولو قل، وهذا يعني أن الجزية هي في الواقع وسيلة للدعوة وليست مصلحة دنيوية.

وهذا ربما نسترشد به إلى أن المسلمين الذين يعيشون في بلاد غير المسلمين يجب عليهم التخلق بالأخلاق الحسنة التي قد تشجع الناس إلى سؤالهم عن دينهم مما يؤدي إلى دخولهم في الإسلام، بعيداً عن التنطع والغلو الذي قد يسيء إلى الإسلام أكثر مما يحسن إليه.

وقول البخاري: الجزية والموادعة... فيه لف ونشر مرتب؛ لأن الجزية مع أهل الذمة، والموادعة مع أهل الحرب. والجزية من جزأت الشيء إذا قسمته ثم سهلت الهمزة.

(١) السنن، ٢/٢٣١ (٢٦٠٢، ٢٦٠٣).

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

وقيل من الجزاء؛ أي أنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام، أو من الإجزاء؛ لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه^(١).

والموادعة المتاركة، والمراد بها متاركة أهل الحرب مدة معينة لمصلحة^(٢)، كما فعل النبي ﷺ مع قريش في صلح الحديبية. ﴿عن يد﴾ أي عن طيب نفس^(٣).

وقد اختلف العلماء فيمن يلحق بأهل الكتاب في الجزية من العرب والمجوس^(٤).

ويتفاوت مقدار الجزية، وأقله عند الجمهور، دينار لكل سنة. وخصه الحنفية بالفقير، وأما المتوسط فعليه ديناران، وعلى الغني أربعة. وهو موافق لأثر مجاهد كما دل عليه حديث عمر. وعند الشافعية أن للإمام أن يماكس حتى يأخذها منهم، وبه قال أحمد.

وروى أبو عبيد عن عمر أنه بعث عثمان بن حنيف بوضع الجزية على أهل السواد ثمانية وأربعين، وأربعة وعشرين، واثنى عشر. وهذا على حساب الدينار باثني عشر. وعن مالك لا يزداد على الأربعين، وينقص منها عمن لا يطيق. وهذا محتمل أن يكون جعله على حساب الدينار بعشرة^(٥).

(١) تهذيب اللغة، ١١/١٤٧.

(٢) الفتح، ٦/٢٥٩، الفقه الإسلامي وأدلته، ٦/٤٣٧.

(٣) الفتح، ٦/٢٥٩.

(٤) للتفاصيل انظر: الفتح، ٦/٢٥٩-٢٦٠، السنن الكبرى للنسائي، ٨/٨٨-٩١-٨٧١٣-

(٥) ٨٧١٦، إكمال المعلم، ٦/٢٩، ٣٠.

(٥) الفتح، ٦/٢٦٠.

وقال العلماء: الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم ويحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الإسلام. وهذا يشير إلى أنها في نفس الوقت هي وسيلة دعوة فإن اشتملت على العدل والشفقة كان لها أثر طيب، وفيه المصلحة للإسلام والمسلمين.

واختلف في سنة مشروعيتها: ف قيل في سنة ثمان، وقيل سنة تسع. وفيه حديث مسروق عن معاذ أن النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن قال: خذ من كل حالم ديناراً، أو عدله من المعافر، ثياب تكون باليمن. أخرجه أصحاب السنن، وصححه الترمذي والحاكم^(١).

واختلف السلف في أخذها من الصبي فالجمهور لا. على مفهوم حديث معاذ، وكذا لا تؤخذ من شيخ فان ولا زمن، ولا امرأة ولا مجنون، ولا عاجز عن الكسب، ولا أجير، ولا من أصحاب الصوامع والديارات في قول. والأصح عند الشافعية الوجوب على من ذكر آخر^(٢). ومما يدل على شدة اعتناء الإسلام بهذه الأمور، اشتمال مصادر كتب الحديث على تخصيص أجزاء منها كما في صحيح البخاري، كتاب الخمس والجزية والموادعة^(٣)، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود^(٤)، والسنن لسعيد بن

(١) سنن أبي داود بشرح الخطابي، ٤٢٨/٣ (٣٠٣٨) كتاب الخراج، سنن النسائي بشرح السيوطي، ٢٦/٥ (٢٤٥٠-٢٤٥١)، سنن الترمذي، ٦٨/٢ (٦١٩).

(٢) الفتح، ٢٦٠/٦، معالم السنن للخطابي، ٤٢٨/٣، الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٤٤/٦.

(٣) ٢٥٧/٦ (٥٨).

(٤) ٤٢٧/٣.

التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام ————— د. الأمين محمد محمود الجكني

منصور، والجهاد لابن المبارك، وكتاب الخراج لأبي يوسف، والأموال لأبي عبيد، والسنن الكبرى للنسائي، وغيرها^(١).

المطلب الثامن: الوفاء لأهل الذمة:

من سماحة الإسلام وعدله رعايته لأهل الذمة، وقد حفظ الإسلام لكل الناس حقوقهم، وفي مقدمتها الأمن والأمان لهم. وحرّم الإسلام الاعتداء على غير المسلمين المقيمين في ديار الإسلام وأوصى بهم للمصالح العامة، وفي مقدمتها مصلحة الإسلام لأنه بالعدل قد يدخل الناس في الإسلام، وقد أوصى عمر رضي الله عنه من سيخلفه بقوله: (أوصيكم بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفون إلا طاقتهم) وفي رواية: (ورزق عيالكم)^(٢).

قال الحافظ: ويستفاد من الحديث ألا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر طاقتهم.

قال المهلب: وفيه الحض على الوفاء بالعهد، وحسن النظر في عواقب الأمور، والإصلاح لمعاني المال وأصول الاكتساب^(٣). ومن مظاهر سماحة الإسلام وعدله بالإضافة إلى ترك غير المسلمين على أديانهم

(١) ذكر ابن النديم كتاب الجزية والخراج، وكتاب الجهاد، وكتاب فداء الأسارى والغلول، جميعها للعايشي. [الفهرست، ٢٤٥] وكتاب الجهاد لإبراهيم بن حماد [٢٥٢]، وكتاب الجهاد، وكتاب السير، كتاب الخراج، كتاب الصلح، كتاب الحكم بين أهل الذمة، وجميعها لداود بن خلف. [٢٧٢].

(٢) البخاري، ١٦٩/٦ و(٣٠٥٢) و٢٦٧(٣١٦٢).

(٣) الفتح، ٢٦٧/٦.

مقابل مقدار من المال، نهى الإسلام عن الاعتداء عليهم بأي صورة من الصور حتى في الحق الذي شرعه الله تعالى يؤخذ منهم مقدار حسب الاستطاعة، ويعفى الضعفاء ومن في حكمهم. فكيف بالأمور الأخرى التي هي من متطلبات الحياة ومن أسباب العيش في أمن ورخاء حسيًا ومعنويًا. وجاء في السنة الوعيد لمن قتل معاهدًا ظلمًا وجرمًا وبغير حق شرعي كما في حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري وغيره، وأنه لا يجد رائحة الجنة^(١).

لقد ضرب النبي ﷺ مثلاً عظيماً في الوفاء بالعهد والحرص على الإسلام من أي عمل قد يستغله الأعداء والحاقدون، وينشرون حوله الدعاية السيئة عن الإسلام.

كما ورد في عزمه لإخراج اليهود، لم يفاجئهم، ولم يضيق عليهم. كما رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود» فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»^(٢).

وقوله: «فمن يجد منكم...» من الوجدان، أي يجد مشترياً، أو من الوجد أي المحبة أي يحبه، والغرض أن منهم من يشق عليه فراق شيء من ماله مما يعسر تحويله فقد أذن له في بيعه^(٣). وذكر البخاري باب المواعدة

(١) البخاري، ٢٦٩/٦ (ح ٣١٦٦)، السنن الكبرى للنسائي، ٧٨/٨ (٨٦٨٩-٨٦٩١).

(٢) البخاري، ٢٧٠/٦ (٣١٦٧)، ٦٩٤٤، ٧٢٤٨.

(٣) الفتح، ٢٧١/٦.

والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره، وإثم من لم يف بالعهد. وأورد فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(١). ومعنى جنحوا: أي طلبوا السلم ومالوا إليه^(٢). وهذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين ومعنى الشرط في الآية أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة، أما إذا كان الإسلام ظاهراً على الكفر، ولم تظهر المصلحة في المصالحة فلا؛ لأن المقصود من الصلح هو دفع الشر والخطر، فيجوز بأي وسيلة، وهذا باتفاق العلماء^(٣).

وفي هذا الباب ذكر البخاري حديث سهل بن أبي حثمة في قصة قتل عبدالله بن سهل في خيبر، وكانت يومئذ صلحاً، وأن النبي ﷺ عقله ووداه من عنده^(٤).

وإنما وداه النبي ﷺ من عنده استئلاً لليهود وطمعاً في دخولهم الإسلام، مع كرهه النبي ﷺ أن يبطل دم المسلم المقتول، وتطيباً لقلوب أهله^(٥)، وتعليماً لأئمة على الآداب التي من الأولى أن يتخلقوا بها من استئلاف واستئناس جميع الناس، أما المسلم فتوثيقاً للأخوة الإسلامية، وأما غير المسلم فمن أجل جلبه للإسلام وتحبيبه إليه، فما كان الرفق في شيء إلا زانه وأصلحه، وما كانت القسوة والغلظة في شيء إلا شانه وأفسدته.

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣٢٢/٢.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٣٨/٦.

(٤) البخاري، ٢٧٥/٦ (٣١٧٣).

(٥) الفتح، ٢٧٦/٦.

واختلف العلماء في أصل المسألة وهي مصالحة وموادعة المسلمين أهل الحرب على مال. وخلاصة الأقوال أنه لا بأس بالمصالحة على غير شيء. أما على مال فلا يستحسن إلا في حالة مخافة اضطلام المسلمين لقوة وكثرة العدو، وعدته، لأن ذلك من معاني الضرورات، وكذلك إذا أسر المسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز^(١).

ولا شك أن هذا يدل على سماحة الإسلام وتيسيره على المسلمين بأن أجاز لهم عند الضرورة القصوى الأخذ بالرخص، وخاصة في موضوع المواجهة مع الأعداء.

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، فالأولى بالإنسان أن يكون رحيماً بأخيه، كما أن هذه السماحة هي من مقاصد الشريعة التي تميزها عن الشرائع الأخرى. ومن ذلك الموادعة في الجهاد فإنه لا حد لها معلوم لا يجوز غيره، بل ذلك راجع إلى رأي الإمام بحسب ما يراه الأحظ والأحوط للمسلمين^(٢). وهذه الآية ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ مرتبطة بالآية التي بعدها ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾^(٣).

فإن في هذه الآية إشارة إلى أن احتمال طلب العدو للصالح خديعة لا يمنع من الإجابة إذا ظهر للمسلمين، بل يعزم ويتوكل على الله سبحانه^(٤).

(١) الفتح، ٢٧٦/٦.

(٢) الفتح، ٢٨٢/٦.

(٣) الأنفال: ٦٢.

(٤) الفتح، ٢٧٧/٦.

المطلب التاسع: تحريم الإسلام للغدر في حق جميع الناس:
وكما حرم الإسلام الظلم حتى مع أهل الذمة، لأن العدل قد يكون وسيلة من وسائل الدعوة وطريقاً لدخولهم في الإسلام، فإن من عدالة الإسلام أيضاً أنه حرّم الغدر، وهذا قد ترجم له البخاري في باب إثم من عاهد ثم غدر. وأوضح الحافظ أن الغدر حرام باتفاق، سواء كان في حق المسلم أو الذمي.
وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لم تجتنبوا ديناراً ولا درهماً؟ ف قيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إني والذي نفس أبي هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق، قالوا: عمّ ذلك؟ قال: تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم^(١).

قوله: (إذا لم تجتنبوا) من الجباية بالجيم والموحدة، وبعد الألف تحتانية، أي لم تأخذوا من الجزية والخراج شيئاً.

(تنتهك) بضم أوله أي تتناول بما لا يحل من الجور والظلم.

(فيمنعون ما في أيديهم) أي يمتنعون من أداء الجزية^(٢).

قال الحميدي: أخرج مسلم معنى هذا الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه «منعت العراق درهمها وقفيزها»^(٣). وساق الحديث بلفظ الفعل الماضي، والمراد به ما يستقبل مبالغة في الإشارة إلى تحقق وقوعه.

(١) البخاري، ٢٨٠/٦ (٣١٨٠).

(٢) الفتح، ٢٨٠/٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٠/١٨، الفتن (٣٣)، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل ذهب، مسند أحمد، ٢٦٢/٢، سنن أبي داود، ٤٢٦/٣ (٣٠٣٥).

ولمسلم عن جابر أيضاً مرفوعاً «يوشك أهل العراق ألا يجتبي إليهم بعير، ولا درهم» قالوا: مم ذلك؟ قال: «من قبل العجم يمنعون ذلك»^(١).

وفيه علم من أعلام النبوة، والتوصية بالوفاء لأهل الذمة لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع المسلمين، وفيه التحذير من ظلمهم، وأنه متى وقع ذلك نقضوا العهد فلم يجتب المسلمون منهم شيئاً فتضيق أحوالهم. والإنذار بما سيكون من سوء العاقبة وأن المسلمين سيمنعون حقوقهم في آخر الأمر، وكذلك وقع^(٢).

قال النووي: وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود، وقيل لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها. وقيل معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك^(٣).

وهناك فرق بين ارتدادهم أو منعهم من دفع الجزية ولم يكن في ذلك ظلم أو تكليف لما لا يطيقون، وبين الحال إن كانت تؤخذ منهم زيادة على ما تم الصلح عليه أو فيه مشقة عليهم، حيث إن نظرتهم للإسلام والمسلمين تختلف باختلاف الحالين.

وقد أثبتت الأحداث والتجارب أن مآل الغدر مذموم، ومقابل ذلك

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٨/١٨، كتاب الفتن (٦٧)، صحيح مسلم مع إكمال المعلم، ٤٥٨/٨، ومسند أحمد، ٣/٣١٧.

(٢) الفتح، ٢٨٠/٦.

(٣) شرح مسلم، ٢٠/١٨، ٢١.

الوفاء وهو ممدوح، كما حدث لقريش لما نقضت العهد، صارت الغلبة عليهم، وزاد قهرهم بفتح مكة. كما في حديث سهل بن حنيف في الصلح وأنه كان فتحاً^(١)، مع كراهية بعض المسلمين للصلح في أول الأمر، ثم تبين لهم أن رأي النبي ﷺ في الصلح والوفاء به أتم وأحمد من رأيهم في المناجزة. كما أن الوفاء يقتضي جواز صلة القريب، ولو كان على غير دين الواصل، كما في حديث أسماء بنت أبي بكر لما قدمت عليها أمها وهي مشركة في عهد الصلح فأمرها النبي ﷺ بأن تصلها^(٢). وقد ختم البخاري كتاب الجهاد، وكتاب الجزية والموادعة بحديث أنس، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه ينصب لكل غادر لواء^(٣).

قال العلماء: يفهم من الأحاديث أن الغادر يعامل بنقيض قصده بنصب لوائه عند أسفله زيادة في فضيحته وذمه من أهل الموقف. وفي الحديث غلظ تحريم الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير، ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء. وقال عياض: المشهور أن هذا الحديث ورد في ذم الإمام إذا غدر في عهوده لرعيته أو لمقاتلته أو للإمامة التي تقلدها والتزم القيام بها، فمتى خان فيها أو ترك الرفق فقد غدر بعهده. وقيل المراد نهى الرعية عن الغدر

(١) البخاري، ٢٨١/٦ (٣١٨٢).

(٢) البخاري، ٢٨١/٦ (٣١٨٣).

(٣) ٢٨٣/٦ (٣١٨٦، ٣١٨٨)، صحيح مسلم مع الإكمال، ٣٩/٦ (١٧٣٥)، السنن الكبرى

للنسائي، ٧٦/٨ (٨٦٨٣).

بالإمام فلا تخرج عليه ولا تتعرض لمعصيته لما يترتب على ذلك من الفتنة، والصحيح الأول^(١).

قال الحافظ: ولا مانع من حمل الخبر على أعم من ذلك^(٢).
الخاتمة:

من خلال تتبع هذا البحث يمكن استخلاص أهم النتائج التي تضمنها، وهي:

- كمال هذا الدين الحنيف واشتماله على الأحكام والآداب في جميع جوانب الحياة ومن ذلك الجهاد، ونشر الإسلام فهو عبادة كسائر العبادات لها ضوابط وأسس وقواعد يجب مراعاتها.
- اهتمام علماء المسلمين بالتأليف في هذا الجانب ودلالة ذلك على أهميته.
- تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على بيان المجاهد الذي يقاتل في سبيل الله.
- أن الإمام مسؤول عن أفعال رعيته وأتباعه وأنه يجب عليه توجيههم وتعليمهم أحكام وآداب الجهاد حتى لا يقع الفساد وسفك الدماء بغير حق.
- أن الأولوية في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر واستنفاد مختلف السبل قبل القتال.

(١) إكمال المعلم، ٤١/٦، شرح مسلم للنووي، ٤٤/١٢.

(٢) الفتوح، ٢٨٤/٦.

- مراقبة ومتابعة الإمام لعماله ونوابه والتأكد من التزامهم بالأحكام الشرعية في الجهاد ومعاتبته من يخالفها.
- رحمة الإسلام وتحريمه قتال النساء والأطفال وكبار السن.
- متى وفي حق من يشرع الجهاد.
- النهي عن تمني لقاء العدو وسؤال الله العافية وحمد الله عليها.
- أهمية ومكانة الإمام وضوابط طاعته والتحذير من التنازع.
- تعدد صور الجهاد وأن منه بر الوالدين.
- الحث على الأخذ بأسباب القوة والعدة قبيل القتال وأثناءه وبعده.
- أهمية ومنزلة الدعاء في جميع الأحوال وخاصة عند الشدائد.
- ضرورة الحفاظ على أسرار الجيش وأثر المفاجأة.
- مشروعية التورية والخدع في الحرب.
- حق الإمام في اختيار الطريق المناسب مع الأسرى حسب المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.
- تقديم النبي صلى الله عليه وسلم الإنفاق على الفقراء والأرامل والمساكين.
- إثارة المؤلفه قلوبهم بالأموال.
- عدل الإسلام وفرضه مقداراً يسيراً على أهل الذمة.
- تحريم قتل المعاهد أو الغدر به أو ظلمه بأي وجه.